شرح
ثلاثة الأصول

سلسلة شروحات الشيخ

٨

شرح ثلاثة الأصول

تصنيف شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

والمدرس بالمسجد النبوي

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

المقدمة

قال المؤلف رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم -رحمك الله -أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الشرح

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مفضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله؛ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فنستعين بالله ﷻ ونسأله التيسير والقَبول في مدارسة هذه الرسالة القيّمة النفيسة، ألا وهي رسالة الأصول الثلاثة، هذه الرسالة ألفها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي؛ المتوفىٰ سنة: (١٢٠٦هـ) من هجرة النبي ﷺ.

هذه الرسالة رسالة وجيزة في كلماتها وأسطرها، لكنَّها نفيسة في معانيها وفي العلوم التي احتوت عليها، هذه الرسالة كان أهل العلم ولا يزالون يوصون بها

غاية الوصية؛ لأن ما تضمنته هذه الرسالة من العلم الواجب الذي لا يُعذر الإنسان في تكاسله عن التعلم لهذه الرسالة وما فيها من العلوم، فالعلم الذي فيها من القدْر الواجب لابد من تعلمه، وكان الناس إلىٰ وقتٍ قريب يحتفون بهذه الرسالة احتفاءً كبيرًا، بل ويحفظونها، ويتدارسونها في كل وقت، الصغار والكبار، والرجال والنساء، وأثمر هذا بتوفيق الله رسوخًا في التوحيد، وبُعْدًا عن أسباب القدح فيه؛ وذلك أن هذه الرسالة تُعلّم أصل التوحيد بالدليل، فشتان بين من يبني اعتقاده علىٰ العلم والدليل، ومن يكون إيمانه ودينه إنما هو دين المَرْبىٰ والمنشأ والعادة، شتان بين هذا وهذا، المعتقد المبني علىٰ أدلة راسخة من الكتاب والسنة ليس كاعتقادٍ إنما بُنِيَ علىٰ تقليد الناس، يقول ما سمع الناس يقولونه، شتان بين هذا وهذا، العلم الأول علمٌ يُؤدي إلىٰ الثبات بتوفيق الله إذا هبت رياح الشبه المزعزعة للإيمان ، أما الثاني فما أسرع سقوطه أمام هذه العواصف والله المستعان.

فالوصية لك يا طالب العلم، بل الوصية لك يا أيها المسلم ويا أيتها المسلمة: هي العناية بهذه الرسالة؛ اقرأها وتأملها وإن استطعت فاحفظها وحاول أن تتفهم ما رمت إليه وما دلت عليه.

بدأ المؤلف رحمه الله هذه الرسالة بالبسملة، وهذا قد جرىٰ فيه المؤلف رحمه الله علىٰ ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالىٰ، فإنه مفتتح بالبسملة، وإذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم فإنه يكون مستعينًا بالله؛ متبركًا بذكر اسمه جل وعلا، وبذكر أسمائه سبحانه وتعالىٰ تتنزل البركات والرحمات والخيرات، وكذلك الشأن في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يفتتح رسائله

بالبسملة كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الكتاب الذي أرسله النبي ﷺ إلىٰ هرقل، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» أن عمل المصنفين قد استقر علىٰ افتتاح الكتب بالبسملة، فالمؤلف رحمه الله جرىٰ هاهنا علىٰ سَنَنِ أهل العلم.

هذه الرسالة قلْتُ: إن اسمها الأصول الثلاثة، وتُسمىٰ أيضًا ثلاثة الأصول، والمؤلف رحمه الله سماها تارة بهذه التسمية، وتارة بهذه التسمية، فالأمر في التسمية علىٰ كلٍّ حال يسير.

هذه الرسالة اشتملت علىٰ مقدمة وعلىٰ صلب الموضوع وعلىٰ خاتمة.

أما المقدمة فاشتملت على ثلاثة أمور:

أولًا: الأمر بالعلم بأربع مسائل.

ثم وهو الأمر الثاني: الأمر بالعلم بثلاثِ مسائل.

ثم ذكر خاتمة تُبين بإيجاز ما الحنيفية التي هي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

ثم بعد ذلك شرع في شرح وبيان الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة تعلمها، وهذه الأصول الثلاثة هي: معرفة الله، ومعرفة رسوله ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

ثم بعد ذلك ختم هذه الرسالة بخاتمة تكلم فيها عن شيء مما يتعلق بالبعث وأمور الآخرة، وكذلك أشار إشارة تتعلق بالكفر بالطاغوت، هذه هي الرسالة علىٰ وجه الإجمال.

بدأ رحمه الله بقوله: (**اعلم رحمك الله**) والعلماء يذكرون هذه الكلمة (اعلم)للتنبيه، يريدون أن تتنبه يا طالب العلم ويا أيها القارئ والمتعلم هذه الرسالة أن تتنبه إلىٰ أن ما سيأتي أمرٌ مهمٌ ينبغي أن تتنبه له.

(**اعلم رحمك الله**) دعا المؤلف رحمه الله لقارئ هذه الرسالة ومتعلمها بالرحمة، وهذا فيه من التلطف بطالب العلم الشيء الذي لا يخفىٰ، وفيه أيضًا بيان أهمية الرحمة في العلم، وأن العلم مبناه علىٰ الرحمة، وعلىٰ أن العلاقة بين العالم والمتعلم قائمة علىٰ أساس الرحمة، وهذه الأمور التي ذكرها المؤلف رحمه الله هي أمورٌ أربعة يجب علىٰ كل مسلم أن يتعلمها.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعلم -رحمك الله- أنه يجب علينا تعلمِ أربعِ مسائل:

الأولىٰ: العلم، هو معرفة الله ومعرفة نبيه ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الشَّرح

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، هذه الأمور الأربعة أولها: العلم، يعني: يجب أن تعلم وجوبَ العلمِ، فالعلمُ مما يجب أن تقوم به، لابد من أن تجتهد في تحصيله هذا قدْرٌ لابد منه، وما هو هذا القدْر الذي يجب علينا أن نُحصله من العلم، بينه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (**وهو معرفة الله ومعرفة رسوله ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة**)، وهذه الأمور الثلاثة التي بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ وجوب العلم بها هي الأصول الثلاثة التي سيشرحها علىٰ وجه التفصيل فيما سيأتي إن شاء الله من هذه الرسالة.

قال: (**العلم، وهو معرفة الله**) هاهنا يبحثُ أهل العلمِ مسألةَ الفرق بين العلم والمعرفة، ومن العلماء من يرىٰ أن هاتين الكلمتين مترادفتان، فالعلم هو المعرفة والمعرفةُ هي العلم، والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عبر أو فسر العلم بالمعرفة، وقد يُفهم من هذا أنه يرىٰ الترادف بين هاتين الكلمتين، وذهب كثيرٌ من أهل العلم إلىٰ التفريق بين العلم والمعرفة، واختلفوا اختلافًا طويلًا في هذا الفرق بين هاتين الكلمتين، العسكري في «فروقه» ذهب إلىٰ أن المعرفة أخصُّ من العلم، فالمعرفةُ علمٌ بتفاصيل الشيء، وأما العلم فأعمُّ من ذلك: هي العلمُ بالشيء

جملةً وتفصيلًا، وهذا قد تعقبه فيه ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين»، وقد بسط هذه المسألة وذكر جملة من الفروق.

مما ذكره رحمه الله: أن المعرفةَ هي العلمُ بالذات، وأما العلمُ فإنه العلمُ بالأحوال، ولذا تقولُ: عرفتُ زيدًا، وعلمتُهُ صادقًا، فالمعرفةُ تعلقت بالذات، والعلم تعلق بالحال.

ومما ذكر أيضًا: أن المعرفةَ تُقابِلُ الإنكار، والعلمُ يُقابِلُ الجهل في فروقٍ عدة ذكرها رحمه الله.

المقصود هو على كلِّ وجهٍ وعلى أي حال أن القدر الواجب الذي يجب علينا جميعًا تعلمه من العلم هو ما أشار إليه المؤلف رحمه الله: معرفة الله، ومعرفة رسوله ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

المؤلف رحمه الله بدأ أولًا بالعلم قبل أي شيءٍ آخر؛ وذا لأن العلم هو الأساس الذي يُبنى عليه كل شيء، والعلمُ فيه أبحاثٌ شتى ومسائلُ عدة، **لكن يُهمنا هنا أن نقف عند مسألتين من جملة هذه المسائل:**

أولًا: ما هو العلمُ الذي جاء الثناء عليه والأمر به ومدح أهله في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ؟ ثم ما فضيلة هذا العلم، وما هي الأجورُ المترتبةُ على تحصيله؟

أولًا: اعلم يا رعاك الله أن العلم إذا أُطْلِقَ في مقام الثناء أو الحث أو مدحِ أهلهِ فإنما هو العلم الشرعي، وهذا يجرُّنا إلى القول بأن العلم ينقسمُ إلى قسمين؛

العلم من حيثُ موضوعهُ ينقسم إلى قسمين:

١) علم شرعي.

٢) علم دنيوي.

والعلم الشرعي ينقسمُ إلى قسمين:

١) علمٍ شرعيٍ واجب.

٢) علمٍ شرعي مستحب.

أما العلمُ الشرعي الواجب فضابطه: هو كلُّ ما قام به الدين الواجب فالعلم به واجب، لأن القاعدة الشرعية المقررة: ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب.

إذن: إذا كان الله ﷻ أوجب عليك أمورًا أن تعتقدها فالعلمُ بها واجب، لأنك لا يمكنُ أن تُحصِّلَ هذا الاعتقاد إلا بالعلم، إذا كان الله ﷻ قد أوجب عليك أمورًا للعمل بها فإن العلم بها أضحىٰ واجبًا؛ لأنك لا يمكنُ أن تعملَ بما تجهل، إذا أمرك الله ﷻ بالصلاة، إذا أمرك الله ﷻ بالصيام، بالزكاة، بالحج.. إلىٰ غير ذلك، **إذن:** هذا القدر الذي أوجبه الله ﷻ لابد من العلم به حتىٰ تتمكن من القيام بما أمر الله ﷻ به، ما لا يتِمُّ الواجبُ إلا بهِ فهو واجب.

أما العلم المستحب أو القسم الثاني وهو العلم المستحب، فهو ما قام به الدين المستحب، فالعلمُ به مستحب، ثمةَ أمورٌ دون الواجبات من دين الله ﷻ وشرعه، هذه العلم بها مستحب، ولكن انتبه! العلم بها مستحبٌ في حقِّ الأفراد، وأما في حقِّ مجموعِ الأمة فإن ذلك فرضُ كفاية، بمعنىٰ: يجبُ أن يكون في الأمة

من تحصل بهم الكفاية في الحفاظ على هذا العلم، لِمَ؟ لأن هذا سببٌ للحفاظِ على الدين، الدينُ يجبُ أن يبقى كما هو بواجبهِ ومستحبهِ، واجبٌ على أهلِ هذه الملة أن يُحافظوا على هذا الدين، وبالتالي كان الحفاظُ على العلم المستحب من القدْرِ الذي حُكْمُهُ الوجوبُ الكفائي، وبالتالي وجَبَ أن يكون في الأمة من تحصل بهم الكفاية في تحصيل هذا العلم، وبالتالي يبقى في الأمةِ ولا يندثر، لا يجوزُ أن يندثرَ شيءٌ من هذا الدين، لا يجوزُ أن يضْمَحِلَّ شيءٌ من هذا الدين، ولو كان قدرًا مستحبًا، مما لا خلافَ فيه بين أهل العلم.

إذن: نحن نقولُ العلم المستحب في حقي وحقك وحقِ كلِّ فردٍ من حيثُ هو فرد، لكن في مجموع الأمة يجب أن يكون فيهم من يعلم ذلك، فإذا حصلت الكفاية بهم كان العلمُ بالنسبة لغيرهم قدْرًا مستحبًا.

القسم الثاني: هو العلم الدنيوي، وهذا يشمل كلَّ العلمِ الأخرى المتعلقة بالصناعات وبمعايش الناس، وبأسباب تحصيل تلك المعايش، وهي علومٌ كثيرة تَنِدُّ عن الحصر، وهذه العلوم تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هو العلم الدنيوي الواجب، وهذا هو العلم الذي تعلقت به مصلحة هذه الأمة من حيث معاشها أو سلامتها، فالعلم الذي يحصل به معاش الناس من حيثُ صحتهم في أبدانهم، من حيث توفر أسباب الحياة وعمارة الأرض بالنسبة لأمةِ الإسلام هذا قدرٌ واجب؛ حتى تستقرَّ أحوالُ الناسِ في دنياهم، فلا يمكن قيامُ الدين إلا باستقرار الدنيا، أما لو كان حال الدنيا مضطربًا فإن ذلك لا شك أنه سيعود بالاضطرابِ على أمرِ الدين، والله ﷻ خلقنا لإقامةِ

هذا الدين، فكان تحصيلُ هذه العلوم التي يحتاجها الناس فيما يتعلق بأبدانهم كالطبِّ وكتحصيل أسباب الاقتصاد الشرعي، أو العلوم العسكرية أو ما شاكلَ ذلك مما به صلاحهم في معاشهم، أو ما به سلامتهم وقوتهم وهيبتهم أمام أعدائهم؛ هذا القدرُ لا شك أنه أمرٌ واجب، حتىٰ تستقِرَّ أحوالُ الناسِ في دينهم، ولكن تنبه يا رعاك اللهُ أن الوجوبَ الذي يذكرهُ العلماءُ هاهنا هو من الوجوب الكفائي، بمعنىٰ: لابد أن يكون في الأمة من يكون محصلًا لهذه الصناعات، وهذه العلوم تحصل بهم الكفاية، ثم بعد ذلك القدرُ الذي يزيد علىٰ ذلك يرجع إلىٰ حكم الإباحة، وهو القسم الثاني.

القسم الثاني: هو العلوم التي هي في أصلها نافعة مباحة لا محذور فيها، وكان تعلمها قدرًا زائدًا علىٰ حدِّ الوجوب الذي ذكرناه قبل قليل، يعني: الذي تشتد حاجة الأمةِ إليه، هذا القدرُ هو من العلوم المباحة، وإذا اقترن مع ذلك نيةٌ صالحة بالنسبة للمتعلم فإنه مثابٌ علىٰ ذلك، إذا نوىٰ في تعلمهِ هذه العلوم سواءً كان ذلك متعلقًا بطبٍ أو نجارةٍ أو عسكرية أو اقتصادٍ.. أو ما إلىٰ ذلك؛ نوىٰ بذلك نفع المسلمين وتحصيل الخير لأهلِ الإسلام ودفعِ أذىٰ أعدائه، فإن الإنسانَ مأجورٌ علىٰ ذلك بلا ريب.

القسم الثالث: العلوم المحرمة، وهذه العلوم إما أن تكون محرمةً في موضوعها، أو أنها وسيلةٌ للوقوع في المحرم، إذا كان موضوع العلم محرمًا كالسحر والكهانة والموسيقىٰ.. وما إلىٰ ذلك، فلا شك أن العلم بذلك محرم؛ لأن الشريعةَ كما تُحرمُ الشيءَ فإنها تُحرمُ أسبابَهُ ووسائله، وأدلةُ هذا كثيرةٌ في

الشريعة، أو أن يكون العلمُ في أصلهِ مباحًا، لكنه ذريعة ووسيلة للوصولِ إلىٰ ما حرم الله ﷻ، وبالتالي فيكون التعلمُ هاهنا تعلمًا محرمًا.

إذن: هذا هو تأصيلُ المسألةِ من حيثُ العلم.

نعودُ الآن إلىٰ ما ابتدأ الحديثُ به، ما العلم الذي جاء الحثُّ عليه والثناءُ علىٰ أهله، والأمر بتحصيلهِ ، لا شك أنه العلم الشرعي، العلم بربنا ﷻ من حيثُ أسماؤه وصفاتُهُ ونعوتُ جلالهِ وأفعالهُ، أو من حيثُ حقوقهُ علىٰ عباده، وحقُّ الله ﷻ أن يُعبدَ وحدَهُ لا شريك له، ومن حيث العلمُ بحدودِ ما أنزل علىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام، هذا هو العلم الشرعي، فإذا نظرت في كتاب الله ﷻ فوجدتَ المدحَ والثناءَ والحثَّ علىٰ العلم فاعلم أنه هذا العلم، هو الذي أراد الله ﷻ في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، هو العلمُ الذي جاءَ في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، هو العلم الذي مدحَ الله ﷻ أهله في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨].

إذن: هذه النصوص وما ماثلها إنما يُراد بها العلم الشرعي، وليس ما سواه، والدليل علىٰ هذا أن النبي ﷺ قال فيما خرَّجَ الترمذيُّ في «جامعه» بإسنادٍ حسن من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، في حديثٍ معلومٍ مشهورٍ عندكم: «**من سلكَ طريقًا يلتمسُ فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة**»، الشاهدُ من هذا الحديث أن النبي ﷺ قال: «**وإن العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذَ به فقد أخذَ بحظٍ وافر**».

لاحظ يا رعاك الله أن (ال) في قوله ﷺ: «**العلم**» (ال) العهدية التي يُراد بها العلمُ المعهودُ في النصوص، في كتابه الله وسنة رسوله ﷺ؛ وذاك ولا شك إنما هو العلم الشرعي، فالأنبياء *عليهم الصلاة والسلام* ما ورثوا في الأمة الصناعات، ما ورثوا في الأمة العلوم الدنيوية، إنما ورثوا العلمَ الشرعي، ورثوا العلم بالله ﷻ، وورثوا العلمَ بدين الله ﷻ من جهة الأمر والنهي، والعلمَ بأمور المعاد.

والعلمُ أقسامٌ ثلاثٌ ما لها ... من رابعٍ والحقُ ذو تبيانِ
علمٌ بأوصافِ الإلهِ وفِعلهِ ... وكذلكَ الأسماءُ للرحمنِ

والأمر والنهي.. هذا الثاني

والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤهُ يومَ المعادِ الثاني

والكلُّ في القرآنِ والسننِ التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان ﷺ

واللهِ ما قال امرؤٌ متحذلقٌ ... بِسواهما إلا من الهذيانِ

هذا هو العلم الشرعي الذي جاء المدحُ وجاءَ الثناءُ وجاء الحثُّ على تحصيله.

هل هذا التقرير يعني التزهيد في العلوم الدنيوية والأمر بانصراف الناس عنها؟

الجواب: لا، قد قدمنا قبل قليل أن هذه العلوم نافعةٌ ومباحةٌ وقد تكون واجبة، إنما المرادُ وضعُ الأمورِ في نصابها، وتفسير النصوص دونَ غلوٍ ودون جفاء، فحينما نتكلم بالعلم هكذا بالإطلاق في مقام المدحِ والثناءِ والأمر،

فلا ينبغي للإنسان أن يتخطىٰ الحدود الشرعية في هذا المقام، فالعلم هاهنا إنما يُراد به العلم الشرعي، والعلوم الدنيوية النافعة يُستدل عليها بأدلة أخرىٰ؛ تدل علىٰ نفعها، تدل علىٰ فضلها وإلىٰ آخره.

قال رحمه الله في بيان ما هو هذا العلم الواجب.

قال: (معرفة الله) هذا الأمر الأول، وهو الأمر الأهم، وهو الأمر الأعظم، معرفةُ الله ﷻ لا شك أنها أهم العلوم علىٰ الإطلاق، ولا شك أنها أوجبُ العلوم علىٰ الإطلاق، ولا شك أنها أشرف العلومِ علىٰ الإطلاق، العلم -كما قالوا- بشرف المعلوم، والله ﷻ أشرف معلوم، فالعلم به أشرف العلوم، العلم بالله ﷻ هو الأهم، فمن عرف الله ﷻ عرف كل شيء، ومن جهل الله ﷻ فهو لما سواه أجهل، أي شيءٍ يستفيده الإنسان في حياته ويحصلهُ إذا كان جاهلًا بربه وخالقه ومدبره وإلهه ومعبوده ومحبوبه ﷻ، إذن هذا العلم أشرف العلوم علىٰ الإطلاق، وأوجبُ العلوم علىٰ الإطلاق، وأهمها علىٰ الإطلاق، وصاحبه قد حيزت له السعادة من أطرافها، كيف لا وكلُّ أبواب الخير إنما تُفتحُ لصاحب هذه المعرفة، من وفقه الله ﷻ إلىٰ العلم بالله ﷻ؛ إلىٰ العلم بأسمائه، إلىٰ العلم بصفاته، إلىٰ العلم بحقه علىٰ عباده، إلىٰ العلم بحدود ما أنزل علىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام، فهذا لا شك أنه قد حاز خير الأمور علىٰ الإطلاق، وأفضل الأمور علىٰ الإطلاق، وهذا هو الإنسان الموفق السعيد، هذا القدر لا شك أنه قدرٌ واجب يجبُ أن يُحصله الإنسان، ويجبُ أن يسعىٰ في أن يصف نفسه به، أن يصف نفسه بالعلم بالله ﷻ، بل أن تكون الحياة كلُّ هذه الحياة ينبغي أن تكونَ

ساحةً للجدِّ والاجتهادِ في تحصيل هذه المعرفة، فالله ﷻ خلقكَ لتعرفَهُ، ثم أن تقوم بمقتضىٰ هذه المعرفة من عبادته ﷻ.

قال: (**معرفةُ الله، ومعرفةُ نبيه ﷺ**) هذا هو الأمر الثاني، هذا قدرٌ واجب؛ أن تعلم من يجبُ عليك العلمُ به بعد الله ﷻ، وهو نبينا الكريمُ محمدٌ ﷺ، وهو الذي هدانا الله ﷻ به من الضلالة إلىٰ الهداية، من الغواية إلىٰ نور الحق والإيمان، إنه نبينا محمدٌ ﷺ؛ الذي هو أحقُّ من وجب علينا محبته من البشر، هو أولىٰ وأحق وأوجب من يتعين علينا القيام بحقه من البشر؛ إنه النبي الكريم محمدٌ ﷺ، يجب علىٰ كل مسلم أن يعرفه عليه الصلاة والسلام من حيثُ اسمه ونسبه عليه الصلاة والسلام، ومن حيث سيرته وشمائله، ومن حيثُ دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام، وإذا كان هذا أمرًا لابد منه في كل عصرٍ ووقت، فإن هذا في هذا العصر المتأخر الذي نعيشه الذي تلاطمت فيه أمواجُ الفتن والشبهات أقول: إن هذا قدرٌ متعينٌ لا عذرَ فيه لأحد؛ وذلك لكثرة الشبهات التي تُثار علىٰ نبوة النبي عليه الصلاة والسلام من قبل أعداء الله ﷻ، وهي تنتشر انتشارًا واسعًا مع وجود هذه الوسائل الكثيرة للتواصل، فإن هذه الشبه أصبحت قريبة جدًا من الناس، إذن لابد من التسلح بالعلم الذي يُدرأ به في صدورِ هذه الشبه التي تطالُ نبوةَ نبينا الكريم محمدٍ ﷺ.

أما القسم الثالث من هذا العلم فهو (**معرفةُ دين الإسلام بالأدلة**)، والنبي ﷺ بينَ لنا أن هذا علامة الخير بالإنسان؛ تحصيل هذا العلم علامةُ خير، علامةٌ تدلُّ

علىٰ أن الله ﷻ أراد بمن حصَّلَ هذا العلم الخير، أليس النبي ﷺ هو القائل: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

إذن: لابد من تعلم هذا الدين وقد علمتَ أن القدر الواجب منه هو ما يستقيم به اعتقادُك، وما يستقيم به عملُك، هذا القدر لابد ويجب العلم به.

ولاحظ هذا التنبيه من المؤلف ﷺ إلىٰ أن العلم بهذا الدين ينبغي أن يكون بالأدلة، بمعنىٰ أن تكون معرفتك لأحكام الشرع مقرونة بأدلتها الشرعية، والمؤلف ﷺ شديدُ العناية بتأصيل هذا الأمر، فهو يذكره ويكرره ويُطبقه لأجل أهميته، حتىٰ يبني الإنسان علمه وعمله علىٰ أساسٍ صحيح، بحيثُ لا ينطق ولا يخطو إلا بدليلٍ من كتاب الله وسنةِ رسولهِ ﷺ؛ لأن السلامة كل السلامة في كتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ، ولذا تلحظ معي أن المؤلف ﷺ إذا أورد مسألة في هذه الرسالة وقس عليها كلامه في غير هذه الرسالة؛ تجدُ أنهُ يُقرر المسألة، ثم يقول: والدليلُ قوله تعالىٰ، والدليل قوله ﷺ؛ لِمَ ؟ حتىٰ يكون العلم علمًا صحيحًا مبينًا علىٰ أدلة الكتاب والسنة، هذا الذي يجب علىٰ كلم مسلم أن يبني دينه عليه؛ أن يكون متبعًا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣]، وسيأتي الكلامُ مفصلًا عن هذه الأمور الثلاثة، هذا هو العلم، وهذا هو المراد بالقدر الذي يجب تعلمه علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمة، ولا شك أن فضيلةَ هذا العلم فضيلةٌ عظيمة، وما أحسنَ ما قال الإمام الشافعي ﷺ: (لا أعلمُ شيئًا بعد أداء الفرائض أفضل من العلم)،

بل قال ابن المبارك رحمه الله: (لا أعلم شيئًا بعد النبوة أفضل من العلم)، أيُّ شيءٍ يفوقُ فضيلةَ العلمِ بالله وبرسوله ﷺ، وبدينه، العلم بأسمائه وصفاته ﷻ، وبالحلال والحرام الذي شرعهُ ﷻ لعباده، أو المعاد الذي ينتظر كلَّ إنسانٍ منا، أيُّ شيءٍ من العلوم تكونُ له فضيلة توازي هذا الأمر، ولذا تكاثر في النصوص الحثُّ علىٰ القيام بتحصيل هذا العلم وتكاثرَ في النصوص بيان الأدلة علىٰ هذا الأمر، ولو لم يكن من فضيلة لهذا العلم تُرشدُكَ إلىٰ أهميته إلا الأحاديث التي جاء فيها إخبارُ النبي ﷺ بثواب طلب العلم، وحضِّ طالب العلم، واللهِ يكفي هذا القدر، أليس النبي ﷺ هو القائل: «**من سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهَّلَ اللهُ له به طريقًا إلىٰ الجنة**»؟ أليست الجنة هي الغاية التي يسعىٰ لها كلُّ إنسان؟ إذن دونك العلم، فإنه طريقٌ موصلٌ إلىٰ الجنة، أليس النبي ﷺ هو الذي يقول: «**وإن العالم ليستغفرُ له كلُّ من في السموات والأرض حتىٰ الحيتان في البحر**»؟ أيُّ فضيلة كهذه الفضيلة، وأنت قائم أو وأنتَ نائم تستغفر لك الأشياء، حتىٰ الحيتان في وسط البحر، قال هذا الذي لا ينطق عن الهوىٰ ﷺ، ألا يكفي في فضيلة العلم قول النبي ﷺ: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكنهم ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر**»؟

صدق من قال:

الْعِلْمُ أَعْلَىٰ وَأَحْلَىٰ مَا لَهُ اسْتَمَعَتْ ... أُذُنٌ وَأَعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

الْعِلْمُ غَايَتُهُ الْقُصْوىٰ وَرُتْبَتُهُ ... الْعُلْيَاء فَاسْعَوْا إِلَيْهِ يَا ذَوِي الهِمَمِ

الْعِلْمُ يَا صَاحِ يَسْتَغْفِرْ لِصَاحِبِه ... أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ مِنْ لَمَمِ

كَذَاكَ تَسْتَغْفِرُ الحِيتَانُ فِي لُجَجٍ ... مِنَ البِحَارِ لَهُ فِي الضوءِ والظلمِ
الْعِلْمُ أَعْلَىٰ حَيَاةٍ لِلْعِبَادِ كَمَا ... أَهْلُ الجَهَالَةِ أَمْوَاتٌ بِجَهْلِهِمِ
الْعِلْمُ واللهِ مِيرَاثُ النُّبُوَّةِ لَا ... شَيْءَ يُشْبِهُهُ طُوبَىٰ لِمُقْتَسِمِ
وَخَارِجٌ فِي طِلَابِ الْعِلْمِ مُحْتَسِبًا ... مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَيُّ كَمِ
يَا طَالِبَ الْعِلْمِ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا ... فَقَدْ ظَفِرْتَ وَرَبِّ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

العلم الشرعي هذا النورُ المبين الذي يسير الإنسان في ضوئه في هذه الحياة بطمأنينة وسكينة، وطريقٍ واسعة رحبة سعيدة تقود صاحبها إلىٰ جنة الخلد، أيُّ شيءٍ من هذه الحياة ومغرياتها يصرف الإنسان عن هذا الفضل الكبير؟ ويعجب الإنسان أشدَّ العجب أن هذا الفضل الكبير وهذا الثناء العظيم زَهِدَ فيه كثيرٌ من الناس مع الأسف الشديد، حتىٰ إن القدر الذي لابد منه ضعف جدًا العنايةُ بتحصيله، ولذا تجدُ كثيرًا من الناس يصلون، لكنهم لا يعتنون بتعلمِ الصلاة، يصلون كيفما اتفق، كما رأىٰ الناس يصلون يصلي، وليس كما أمر النبي ﷺ في قوله: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، تجدُ من يحرص علىٰ أن يصوم، لكنه لا يحرصُ علىٰ تعلمِ أحكام الشرع في الصيام؛ تجد أنه يُعطي من وقته ولو الشيء القليل حتىٰ يتعلم، فيصوم علىٰ هدىٰ ونور، تجدُ أن القليل يقوم بذلك، يحج لكنه يقع في أخطاءٍ كثيرة، والسبب أنه ما تعلم كيف يحج، لم يحجَّ كما حجَّ النبيُ ﷺ؛ الذي يقال: «**خذوا عني مناسككم**»، بل أعظم من ذلك وأشد أنك تجدُ من الناس من يقعُ في أخطاءٍ فادحة تمَسُّ جناب التوحيد، والسبب أنه ما تعلم، عنده استعداد أن يقرأ كل شيء إلا العلم الشرعي، يمكن أن يجلس